وقفة

عبدالنبي الشعلة abdulnabi.alshoala@albiladpress.com

الفيلسوف العربي الذي أنصفه الغرب وتجاهله العرب والمسلمون

خلال العشرين عامًا الماضية، تكررت زياراتي لإسبانيا، وفي كل مرة، لا يسعني إلا أن أخصص وقتًا لزيارة مدينة قرطبة أو غرناطة، وهما من أبرز مراكز الإشعاع الحضاري العربي الإسلامي في الأندلس. وعند زيارتي لقرطبة، أحرص على الوقوف أمام تمثال الفيلسوف والمفكر الأندلسي الكبير ابن رشد، في ساحة تحمل اسمه بحيّ اليهود في قلب المدينة القديمة، وعلى مقربة من الجامع الكبير.

ومثل كثيرين من أبناء العرب والمسلمين، تنتابني هناك مشاعر مختلطة: شعور بالفخر والاعتزاز بإرث هذا المفكر العظيم، وشعور آخر بالحسرة والحيرة؛ لأن من يَنصب له التماثيل ويَحتفي به ليس العرب ولا المسلمين، بل أوروبا، التي أعادت الاعتبار له بعد قرون من التجاهل والنسيان في موطنه الحضاري الأصلي.

هذا التمثال ليس الوحيد في أوروبا، فهناك تمثال آخر له في جامعة السوربون بفرنسا، وآخر في جامعة ليدن بهولندا، إلى جانب عشرات الدراسات والأبحاث والمناهج التي تناولت إرثه الفلسفي والعلمي. ولكن تمثال قرطبة هو الأكثر رمزية: ابن رشد يعود إلى المدينة التي شهدت ولادته وتألقه، ثم شهدت نفيه وإقصاءه، لكنه يعود إليها اليوم في هيئة مكرَّم، محاط بالتقدير.

إنها مفارقة مؤلمة، كيف للمدينة التي طردته وهو في كنف دولة إسلامية وقتها، أن تستعيده بعد قرون لتحتفي به في كنف دولة أوروبية مسيحية، فيما عواصم العرب والمسلمين تواصل تجاهله؟

أكان ابن رشد بحاجة إلى أوروبا لكي يُقدَّر؟ أم أننا نحن – في هذا العصر – من نحتاج إلى ابن رشد، لنتصالح مع عقلنا وهويتنا، ونصوصنا التي ظلت رهينة الجمود وسوء التأويل؟

وُلد أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد بالعام 1126م في قرطبة، في زمن بلغت فيه الحضارة الأندلسية أوجها. ولم يكن فقيهًا أو قاضيًا فحسب، بل كان طبيبًا وفلكيًا وفيلسوفًا موسوعيًا بامتياز. وهو ممن سعوا بجرأة ومسؤولية إلى التوفيق بين النقل والعقل، وبين الشريعة والحكمة، ورأى أن الدين الحق لا يناقض الفلسفة الصادقة.

في كتابه الشهير "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال" وضع الأساس لما يمكن تسميته اليوم بالتفكير النقدي الإسلامي، مؤكدًا أن تأويل النصوص يجب أن يُبنى على منهج عقلي رصين، وأنه لا تعارض بين العقل والنقل إذا أُحسن الفهم وصدق المقصد.

وعلى الرغم من أن ابن رشد ظل طوال حياته مؤمنًا ملتزمًا، وكان قاضيًا مالكيًا رسميًا لدى بلاط الموحدين في الأندلس، فإن التيارات المتشددة آنذاك لم ترَ فيه إلا زنديقًا منحرفًا عن العقيدة؛ فكان نصيبه النفي، والحصار الفكري، وإحراق كتبه، في مشهد يكاد يتكرر – بمختلف الأشكال – مع كل مفكر حرّ عبر العصور.

وفي الوقت الذي أُقصي فيه ابن رشد من عالمه الإسلامي، حملت أوروبا كتبه المترجمة إلى اللاتينية والعبرية، وجعلتها جزءًا من مناهجها في جامعات باريس وبولونيا وأوكسفورد، حيث لقبته بـ "الشارح الأكبر لأرسطو"، واعتبرته حلقة الوصل التي نقلت الفلسفة اليونانية إلى عصر النهضة الأوروبية. ووجد فيه فلاسفة أوروبا – المسيحيون واليهود على السواء – نموذجًا للتنوير والجرأة العقلية في مواجهة استبداد الكنيسة.

المفارقة أن اسمه ظل يتردد هناك بإجلال، بينما أُدرج في بعض كتب التراث عندنا بجانب "الزنادقة"، لا جامعة عربية تكرّس له فصلًا دراسيًا، ولا عاصمة عربية تحتفي به في مناهجها، ولا تمثال واحد في مدينة إسلامية يشهد على عظمة إرثه.

ليست المشكلة غياب تمثال، بل غياب ثقافة كاملة، فيما تسود العالم الإسلامي ثقافة تهاب السؤال، وتخشى الاختلاف، وتفضّل النقل الأعمى على البحث والتأمل. ثقافة ما زالت تحاصر الفلسفة وتربطها بالإلحاد، وتربط الرموز التذكارية – حتى لو كانت علمية وفكرية – بالوثنية.

إن التمثال ليس مجرد مجسّم من حجر أو نحاس، بل هو تعبير عن الاعتراف، وتقدير للدور، ونداء إلى الذاكرة الجماعية للأمم. وعندما تنصب مدينة ما تمثالًا لابن رشد، فإنها تقول لأبنائها: "هذا منكم، وهذا نموذج يُحتذى به في استخدام العقل، وفي محبة العلم، وفي التوفيق بين الإيمان والتفكير الحر".

لكن الاحتفاء الحقيقي لا يكون بالنُصب وحدها، بل بإعادة إحياء أفكاره في التعليم والبحث والجدل العام، بالانفتاح على مقولاته الجريئة، ومناقشة رؤاه النقدية للنص الديني، وفهمه المتوازن للشريعة والحكمة.

نحن اليوم أحوج ما نكون إلى ابن رشد، لا بوصفه مفكرًا من الماضي، بل كمنهج عقلاني حيّ، يرشدنا إلى أن الدين والعقل ليسا خصمين، وأن الفلسفة لا تهدم الإيمان، بل تعمّقه، وأن استخدام العقل هو عبادة، وليس خيانة.

إن إعادة الاعتبار لابن رشد لا تعني تمجيد فرد بعينه، بل تعني استعادة ذلك الجانب العقلاني التنويري من تراثنا، الذي أهملناه طويلًا. تعني أن نُعيد بناء الجسور بين الإيمان والعقل، بين النص والاجتهاد، بين الموروث والتجديد.

لقد آن الأوان لأن نكفّ عن جلد ذواتنا بتقاليد الانغلاق، وأن نستدعي إرث ابن رشد من رفوف النسيان، لا لتُؤبّته، بل لنحييه؛ فنهضة الأمم لا تُبنى على الإنكار، بل على الاعتراف، ولا على القطيعة، بل على استئناف مسيرة العقل والتنوير.

الحمر يهنئ بمناسبة التشكيل الجديد لـ "الصحفيين"

المنامة - بنا

هنأ مستشار جلالة الملك لشؤون الإعلام نبيل الحمر، رئيس جمعية الصحفيين البحرينية عيسى الشايجي؛ بمناسبة فوزه برئاسة الجمعية لدورة جديدة، وأعضاء مجلس الإدارة بمناسبة التشكيل الجديد للجمعية.

وأشاد الحمر بما يمتلكه الشايجي من خبرة واسعة في العمل الصحافي وحصوله على دعم وثقة الأسرة الصحافية، والذي يعكس التقدير الكبير لجهوده الوطنية المخلصة وإسهاماته الصحفية والإعلامية البارزة والمشهودة والمتواصلة وتفانيه في خدمة الصحافة البحرينية والتي تجسدت في قدرته على الارتقاء بدور الجمعية في دوراتها السابقة

نبيل الحمر

عيسى الشايجي

والتي ستمكنه من النهوض بها في الفترة القادمة وتحقيق المزيد من النجاحات وبما يلبي تطلعات منتسبيها كافة.

وأكد المستشار الحمر الدعم المستمر لجمعية الصحفيين البحرينية وجميع منتسبيها، معربا عن تمنياته لرئيس وأعضاء مجلس الإدارة الجديد بالتوفيق لمواصلة الدور البناء للجمعية في خدمة العمل الصحافي ودعم الصحافيين في أداء رسالتهم المهنية وتعزيز حضورهم في المشهد الإعلامي.

كما أكد دور الصحافة الوطنية كشريك أساسي في عملية البناء والتنمية والنهضة الشاملة وإبراز المنجزات الوطنية في كافة المجالات.

الصحافة البحرينية تتمتع بالرعاية الملكية

المنامة - بنا

هنأ وزير الإعلام الدكتور رمزان النعيمي، رئيس وأعضاء مجلس إدارة جمعية الصحفيين البحرينية، بمناسبة نجاح العملية الانتخابية والتشكيل الجديد لمجلس الإدارة، معربًا عن تمنياته لهم بالتوفيق والسداد في أداء مهامهم، بما يعزز من مكانة الصحافة الوطنية ودورها الريادي في خدمة الوطن وإبراز منجزاته التنموية والحضارية.

وأضاف وزير الإعلام أن الصحافة البحرينية تحظى برعاية كريمة واهتمام متواصل من ملك البلاد المعظم صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة، مشيرًا إلى أن التهنئة السامية التي تفضل بها جلالته لرئيس وأعضاء مجلس الإدارة المنتخبين، تعكس إيمان جلالته الراسخ بالدور الحيوي الذي تضطلع به الصحافة الوطنية

وزير الإعلام

في دعم مسيرة النهضة الشاملة، وترسيخ مكانة مملكة البحرين على مختلف الأصعدة.

ونوه وزير الإعلام إلى التهنئة الكريمة التي تفضل بها ولي العهد رئيس مجلس الوزراء صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن حمد آل خليفة، لرئيس وأعضاء مجلس إدارة الجمعية، موضحًا أنها تجسد ما يوليه سموه من رعاية واهتمام متواصل بالقطاع الصحفي والإعلامي في المملكة، باعتباره شريكًا رئيسيًا في توثيق الإنجازات الوطنية وإبرازها، ونقل صورة مملكة البحرين إلى مختلف المحافل الإقليمية والدولية.

كما أشاد بما يتمتع به رئيس وأعضاء مجلس الإدارة الجديد من كفاءة وخبرة مهنية تؤهلهم للارتقاء بعمل الجمعية خلال المرحلة المقبلة، معربًا عن تقديره لمجلس الإدارة السابق على ما قدمه من جهود مخلصة أسهمت في تطوير عمل الجمعية ودعم الصحافة البحرينية.

وأكد وزير الإعلام حرص الوزارة على مواصلة التعاون الوثيق والمثمر مع جمعية الصحفيين البحرينية بما يرسخ مكانتها كمنبر وطني مسؤول، ويعزز رسالتها في خدمة العمل الإعلامي والصحفي.